

رؤية استراتيجية مقترحة لدور الجامعة في عالم متغير

أ. د / محمد أمين المفتي

رؤية استراتيجية مقترحة لدور الجامعة في عالم متغير

أ. د/ محمد أمين المفتي

أستاذ المناهج وطرق تدريس الرياضيات، والعميد الأسبق لكلية التربية، جامعة عين شمس، مصر

elmofti44@hotmail.com

قبلت للنشر في ٧/٧/٢٠٢١

قدمت للنشر في ١/٦/٢٠٢١

الملخص: يعرض الكاتب في هذه الدراسة مجموعة من أهم التغيرات التي تعتري العالم من وجهة نظره، وما ينجم عنها من مشكلات أو تحديات، وتمثل هذه التغيرات في تجدد هياكل المعرفة نتيجة النمو المتسارع للمعرفة، والتقدم في التكنولوجيا ونظم المعلومات، والتحول في فلسفة العلم من العلم للعلم، إلى العلم من أجل جودة الحياة، والتحول من الصراع المسلح في فض المنازعات، إلى التفاوض والحوار السلمي، واتساع النظرة لبيئة الإنسان من المحلية إلى العالمية. ويتناول الكاتب كل تغير من هذه التغيرات بتوضيح المقصود به، ومعقباً على كل تغير برؤيته عن الدور الذي ينبغي أن تقوم به الجامعة لمواجهته وحل ما ينجم عنه من مشكلات. ويختتم الكاتب دراسته بدعوة إلى حوار مع من يتفقون مع رؤيته أو يختلفون معها.

الكلمات الدلالية: الرؤية الاستراتيجية، دور الجامعة، عالم متغير.

A proposed strategic vision for the university's role in a changing world

Prof. Dr. Mohamed Amin Elmofiti

Professor of Mathematics Education and the former Dean of College of Education,
Ain Shams University. Egypt,
elmofiti44@hotmail.com

Received in June 1st, 2021

Accepted in July 7, 2021

Abstract: In this study, the writer presents a set of the most important changes in the world from his view point, and the resulting problems or challenges. These changes are represented in the renewal of knowledge structures as a result of the rapid growth of knowledge, progress in technology and information systems, and the shift in the philosophy of science from science to science; To science for quality of life, and the shift from armed conflict in settling disputes, to peaceful negotiation and dialogue, and a broadening the view of the human environment from the local to the global. The writer deals with each of these changes by clarifying what is meant by it, and commenting on each change with his vision of the role that the university should play to confront it and solve the resulting problems. The writer concludes his study with a call to dialogue with those who agree with his vision or disagree with it.

Keywords: strategic vision, the university's role, changing world

مقدمة

- هناك تغيرات لها صفة العالمية تحدث في العالم تؤثر على حياة الإنسان أي كان مكانه، وقد ترتب عليها مجموعة من المشكلات أو التحديات يتعين على دول العالم متكاتفه أن تقدم لها حلول حتى لا يتفاقم الوضع ويؤدي إلى أزمات كبيرة. لعل من أهم هذه التغيرات من وجهة نظر مقترح الرؤية ما يلي:
- 1- تجدد هياكل المعرفة، نتيجة النمو بدالة أسية في الأنساق المعرفية، وظهور فروع جديدة في العلم لم تكن توجد من قبل.
 - 2- التقدم في التكنولوجيا وأساليبها، ونظم المعلومات والاتجاه نحو الرقمنة أي عملية تحويل المعلومات لصورة رقمية الذي ساعد على ظهور الثورة الصناعية الثالثة والرابعة، ومن ثم التحول من الصراع الأيديولوجي إلى التسابق التكنولوجي.
 - 3- التحول في فلسفة العلم وأهدافه من العلم من أجل العلم، إلى العلم من أجل جودة الحياة ورفاهية الإنسان، وهذا تمثيا مع نظرية الحياة التي تركز في جوهرها على أن مجالات المعرفة ينبغي أن ترتبط ببعضها وتمحور حول تقدير الحياة وفهمها بصورة أفضل.
 - 4- التغير في مفهوم الأمن الدولي من الصراع المسلح إلى حل المنازعات عن طريق التفاوض السلمي والحوار.
 - 5- الاتساع في بيئة الإنسان من المحلية إلى العالمية وفقا لحركة الكوكب Globalism.
- ومع وجود هذه التغيرات وما تفرزه من مشكلات تزايدت رغبة الإنسان في حلها خاصة وأنها قد تهدد استمرار حياة الإنسان وجودتها. وهذا يضع صناع المعرفة ومنتجي الأفكار من العلماء أمام مسؤوليات جسام لم يواجهونها من قبل، لعل من أهمها إيجاد حلول متنوعة وعاجلة للمشكلات العالمية من أجل استمرار الحياة وجودتها.

وتقع المسؤولية أيضا على المؤسسات التعليمية التي تعد هؤلاء العلماء للقيام بأدوارهم في أداء واجباتهم نحو مجتمعاتهم، ونحو العالم أيضا، وتتمثل بالدرجة الأولى في المؤسسات التعليمية قبل الجامعية والجامعية، ومراكز البحوث ومؤسسات قطاعات العمل الإنتاج باختلاف أنواعها.

وبالتركيز على الجامعة نجد أنها بوضعها الحالي مطالبة بتطوير فلسفتها، ورؤيتها، ورسالتها، وأهدافها ووسائل تحقيق هذه الأهداف وفقا للتغيرات التي تمت الإشارة إليها أعلاه. هذا يحتاج بالضرورة إلى وضع رؤية استراتيجية لدور الجامعة في مواجهة هذه التغيرات وما ينجم عنها من مشكلات.

أولا: دور الجامعة في مواجهة تجدد هياكل المعرفة، والتقدم التكنولوجي.

الأدلة على وجود تجدد هياكل المعرفة وأنساقها كثيرة وكلنا نلمسها ولا داعي لأن نسوق أمثلة على وجودها، ومن خلال هذا التجدد تبرز مشكلة تقادم المعرفة، أي قلة جدواها بعد مرور فترة زمنية على اكتشافها أو التوصل إليها، أو بعبارة أكثر وضوحا أن المعارف التي يزود بها الطلاب في المؤسسات التعليمية لا تكون قابلة للتطبيق في المستقبل، كما لم تعد الفترة الزمنية التي يقضيها هؤلاء الطلاب كافية لتزويدهم بكل أو بعض ما يستجد من معارف وتطبيقاتها، أي غير كافية لإعدادهم لاحتياجات المستقبل التي يصعب التنبؤ بها في الوقت الحاضر.

ولما كان هناك تفاعل بين العلم والتكنولوجيا فقد أثر النمو المتسارع للمعرفة على الأساليب التكنولوجية فأصبحت أكثر تطورا. هذا التطور أدى إلى ظهور بعض المشكلات أو المعوقات في التطبيق التي ترد إلى العلم فيجد لها الحلول التي تتمثل في اكتشاف أو اختراع جديد وهذه تضاف إلى رصيد المعرفة فتنمو وتتجدد، ويؤدي هذا بدوره إلى رؤى جديدة لتطبيقات هذه المعرفة، وبالتالي تقدم الأساليب التكنولوجية. هكذا نجد سلسلة من التفاعلات بين العلم والتكنولوجيا، والمحصلة هي نمو معرفي وتقدم تكنولوجي مصاحب.

هذا التقدم التكنولوجي يفرز مشكلة جوهرها أن التطور الحادث في الأساليب التكنولوجية في قطاعات العمل وتقنياتها وآلياتها لا يواكبه تطور بنفس المعدل في برامج الإعداد في الجامعة، مما يؤدي إلى انخفاض مستوى تمكن الخريجين في الجامعات من المهارات التي تتطلبها قطاعات العمل التي تتطور باستمرار بهدف التنافس بينها، خاصة وإذا كانت الفترة الزمنية بين التخرج والتعيين في قطاعات العمل طويلة نسبياً.

فما دور الجامعة كمؤسسة تعليمية لمواجهة هاتين المشكلتين؟

يعتقد الكاتب أن دور الجامعة يتلخص في النقاط التالية:

- 1- تقادم المعرفة يقلل من الفترة الزمنية لجدوى ودلالة ما يتعلمه الطلاب من معارف، وهذا يستلزم أن يحدث الطلاب معارفهم باستمرار، وبالتالي يجب أن تركز عملية التعليم - التعلم على إكساب الطلاب مهارات البحث عن المعرفة من مصادرها، إضافة إلى الحاجة إلى التطوير المستمر للبرامج الجامعية في ضوء المستجدات في التخصصات المختلفة التي تعد الجامعة الطلاب لها. وإذا كانت سنوات التعليم غير كافية لتزويد الطلاب بكل أو بعض ما يستجد في التخصص من معارف ومهارات، فإن هذا يتطلب التحول من الاهتمام بالتعليم إلى الاهتمام بالتعلم خاصة التعلم الذاتي ليتمكن الطلاب من مواكبة ما يستجد في تخصصه بعد تخرجه في الجامعة. وهذا يتطلب الإجراءات التالية:
- الاهتمام بتحديث مصادر المعرفة الورقية والإلكترونية، وبنوك المعرفة، وتزويد المكتبات الجامعية بأساليب الاتصال الإلكترونية بمصادر المعرفة المختلفة لتيسير إطلاع الطلاب على المستجدات.
- إكساب الطلاب مهارات التعلم الذاتي، وكيفية استخدام أساليبه للحصول على التطورات في المعرفة.

- التركيز في عمليات التعليم - التعلم على فهم المفاهيم الكبرى وتصور بنية النسق المعرفي مما ييسر تسكين المفاهيم الجديدة في هذه البنية، وتكوين العلاقات بينها.
- تشجيع ترجمة المراجع وأمهات الكتب الأجنبية في التخصصات المختلفة كنافذة على التطورات الحديثة في التخصصات المناظرة في دول العالم المتقدمة
- إضافة مقرر لتعلم اللغة "الإنجليزية من أجل غرض خاص" يدرسه جميع طلاب الجامعة حتى يتمكنوا من الاطلاع على المراجع الأجنبية في تخصصاتهم التي لم يتيسرها.
- ٢- المشكلة الثانية نتيجة التقدم التكنولوجي تتطلب قطاعات العمل المختلفة مهارات جديدة لم يكتسبها الطلاب في أثناء دراستهم الجامعية. وهذه المشكلة تستلزم عدة إجراءات ينبغي أن تتخذها الجامعة لإكساب طلابها المهارات التي لم يكتسبوها، واستجدت في سوق العمل، ولعل من أهم هذه الإجراءات:
- أن تتضمن برامج الإعداد في الجامعة مقررات نظرية وأخرى تطبيقية وعملية، وتدريبات ميدانية لضمان فهم الطلاب المعارف النظرية من خلال تطبيقاتها واكتساب المهارات بالممارسة من خلال فهم أسسها النظرية.
- تطبيق "التعليم المتبادل" عن طريق ربط الكليات الجامعية بقطاعات العمل المناظرة لها، حيث يقوم الطلاب بزيارات لقطاعات العمل التي سوف يعملون بها عند تخرجهم، فيقضون فترة معينة للدراسة في كلياتهم ثم ينتقلون إلى قطاعات العمل لقضاء فترة مناسبة يتدربون فيها على المهارات التي يتطلبها قطاعات العمل. تتكرر هذه الزيارات طوال سنوات الدراسة الجامعية وعند التخرج والعمل يجد الطلاب أنفسهم قد اكتسبوا المهارات المطلوبة دون الشعور بأن هناك فجوة بين ما تعلمونه في كليتهم الجامعية وبين ما يجري في قطاعات العمل.

- تطبيق ما يسمى بنموذج " الشركات التعليمية" وهذا النموذج قريب الشبة بالمستشفيات الجامعية، ويهدف إلى التعليم والتدريب في آن واحد من واقع الملاحظة، والممارسة، والتطبيق، فمثلا ملاحظة الدورة الإنتاجية، أو الدورة المالية، أو الدورة القانونية كل في قطاع العمل المناظر لتخصصه. ويتطلب التعليم المتبادل، والشركات التعليمية التعاون المستمر بين أساتذة كل كلية جامعية وبين المسؤولين في قطاع العمل المناظر بحيث يكفل هذا التعاون التفاعل والتكامل بين المعارف النظرية وتطبيقاتها في الميدان، وإسهام قطاعات العمل والإنتاج بجانب الدولة في التمويل لتدريب الطلاب على المهارات المطلوبة في قطاعات العمل.

- تطبيق نظام التدريب في مؤسسات العمل والإنتاج بدول العالم المتقدم حيث يقضى الطلاب فترة مناسبة خلال سنوات دراستهم الجامعية للتدريب بالخارج على أهم ما يستجد في مجالات تخصصهم.

- وضع خريطة قومية للبحث العلمي والتكنولوجيا يتحقق فيها الربط بين البحوث الأكاديمية بالجامعة، ومؤسسات العمل والإنتاج المستفيدة من نتائج هذه البحوث.

ثانيا: دور الجامعة في مواجهة التغيير في فلسفة العلم وأهدافه

لعل من أهم ما يتسم به التحول في فلسفة العلم وأهدافه هو تكريس العلم لخدمة الإنسان وتطوير المعرفة لخيرهِ ولجوودة حياته، وبذلك لم تعد الدعوة بأن يكون للعلم قيمة في حد ذاته تواجه بحماس، بينما قوى الاتجاه نحو قيمة العلم فيما يقدمه من نفع وخير للإنسان وخدمة لأغراضه. وبالرغم من هذا التحول إلا أن كثير من البرامج الجامعية ومقرراتها مشبعة بالجانب النظري مع قليل من التطبيقات وأحيانا بدونها. هذا يشعر الطلاب بضعف جدوى ونفع ما يتعلمونه، وكثيرا ما يواجه أعضاء هيئة التدريس بالجامعة بأسئلة من طلابهم تعبر عن عدم شعورهم بارتباط ما يدرسونه بمواقف

الحياة ومشكلاتها، وهذا ما يطلق عليه بضعف التوازن والتكامل بين الجانب النظري والجانب التطبيقي والعملي في البرامج الجامعية.

لذا من الضروري إعادة النظر في البرامج الجامعية ومقرراتها وتطويرها بحيث يحدث التوازن والتكامل بين الجانبين النظري والتطبيقي، ويرى الكاتب لتحقيق هذا ينبغي أن تشمل البرامج الجامعية عدة نوعيات من المقررات يراعى فيها شرطي التوازن والتكامل وهي:

- مقررات نظرية تهدف إلى تأصيل المعرفة وشرح الأسس والأصول العلمية، والنظريات والمدارس الفكرية المختلفة.

- مقررات تطبيقية تتضمن تطبيقات متنوعة للمعرفة النظرية مصحوبة بمواقف ومشكلات من الحياة العملية.

- مقررات عملية وتدريبية ميدانية تتضمن إجراء تجارب عملية في المعامل والمختبرات والورش وتطبيقات ميدانية.

على أن يعطى " التعليم القائم على أساس مجتمعي " أهمية خاصة أثناء تصميم البرامج الجامعية ومقرراتها. هذا النوع من التعليم يتخذ من المجتمع باتساعه وتنوع بيئاته قاعدة له حتى لا تحدث فجوة بين ما يتعلمه الطلاب في الجامعة وبين ما يحدث في الواقع داخل المجتمع من جهة أخرى، ويشعر الطلاب بجدوى ونفع ما يدرسونه.

وهناك في الواقع دور تقوم به الجامعة بالفعل لتوظيف العلم في خدمة الفرد ونفعه يتمثل في الجهود التي تقوم بها في قطاع خدمة البيئة والمجتمع والإسهام في حل مشكلاتها، ولكن هذه الجهود تحتاج إلى تطوير وتحديث.

ثالثاً: دور الجامعة نحو اتجاه العالم نحو التفاوض السلمي في حل المنازعات

لعلنا نتفق على أن الجامعة من أهم المؤسسات التعليمية التي تشارك في إعداد رجال المستقبل الذين يتحملون مسؤوليات في مواقع مختلفة سواء داخل البلاد أو خارجها. هذا يقتضي إعدادهم

لمواجهة مسؤولياتهم في مناخ تسوده متغيرات وظروف تؤثر فيها الأحداث المحلية والعالمية. إن النزاع المسلح بين الدول بدأ في الانحسار نسبياً، بينما تتجه هذه الدول نحو التفاوض السلمي والوفاق لفض المنازعات بينها، وقد يكون من متطلبات مواجهة هذا التحول إكساب الطلاب مهارات الاتصال وتقنيات وأساليب التفاوض وإدارة الأزمات على أساس علمي سليم.

ومن المداخل المناسبة لتحقيق هذا الغرض كمتطلب أولى، الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية، وتضمن البرامج الجامعية مقرر "ثقافة التفاوض" الذي يرمي إلى نبذ التنافر والصراع ومحاولة الوصول إلى اتفاق بين طرفي التفاوض، وتتطلب ثقافة التفاوض استشراف المستقبل في ضوء الحاضر والدروس المستفادة من الماضي، وإعداد خطط وسيناريوهات تفاوض مستقبلية لمواجهة احتمالات المستقبل، وتتطلب عمليات إعداد الخطط والسيناريوهات بعض المهارات والقدرات مثل القدرة على التوقع، والاستشعار، والاستجابة السريعة للأحداث، واتخاذ القرارات السليمة، والمرونة في وضع البدائل، والتمرس على تقنيات التفاوض والحوار، وإقامة المحجج المنطقية، والأدلة المقنعة في السياقات والمواقف المختلفة.

من الواضح أن هذه المهارات والقدرات تحتاج إلى فترة زمنية طويلة لاكتسابها والتمكن منها، وهذا يتحقق من خلال مقررات تعليمية تخطط وتبنى على أساس علمي سليم ويدرسها الطلاب دراسة جادة.

رابعا: دور الجامعة تجاه حركة العولمة

يقصد بالكوكبية أن الدول لم تعد منعزلة عن بعضها البعض، ولم يعد مبدأ الاكتفاء الذاتي واعتماد الدولة على إمكاناتها وطاقاتها فحسب صالحاً للتبني كما كان في الماضي، وأصبحت بيئة الإنسان هي العالم بأكمله بفعل عدة متغيرات منها الأساليب التكنولوجية في الاتصال والمواصلات فائقة السرعة الذي أدت إلى ربط الدول ببعضها فأتسعت بيئة الإنسان لتصبح العالم بأكمله. كذلك ظهور مشكلات تهدد بقاء الإنسان أينما كان مثل مشكلات التلوث والأوبئة، وثقب الأوزون، والجفاف والتصحر، ونقص المياه. هذه المشكلات لا تستطيع دولة بمفردها التغلب عليها، وبالتالي هناك اتجاه

يفرض على الدول التعاون والاعتماد المتبادل ولا يتحقق هذا إلا بوجود وفاق بين الدول الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى سلام عالمي.

وبالرغم من المنطقية أو الحتمية التي تغلف حركة الكوكبية وتجعل المبادئ والمفاهيم التي تتضمنها تتسلل إلى عقل الإنسان فيقبلها أو يتقبلها، إلا أن هناك أموراً في غاية الخطورة ينبغي أن تؤخذ بتحفظ وحذر. ومن هذه الأمور أن الكوكبية تهدف بالدرجة الأولى إلى تلاشي البعد الثقافي بين الدول لتسود ثقافة عالمية واحدة، وتلاشي البعد الجغرافي بين الدول - ما دام السلام العالمي سوف يسود - لتنتمي الدول إلى عالمٍ يشملها بلا حدود تفصل بينها.

إن فكرة تلاشي البعد الثقافي لتسود ثقافة عالمية واحدة أمر مشكوك في حدوثه، ولكن قد يحدث أحد أمرين: إما تفاعل ثقافي أي تأثير وتأثر بين الثقافات وبعضها، وفي هذه الحالة سوف تبتلع ثقافات الدول الأقوى ثقافات الدول الضعيفة وتطمس هويتها. أو يحدث امتزاج بين الثقافات نتيجة تلاشي البعد الجغرافي وينتقل الأفراد من مجتمع إلى آخر حيث تمتزج ثقافة هؤلاء الأفراد في ثقافة المجتمع الذي انتقلوا إليه، وهذا فيه أيضاً طمس للهوية الثقافية. النتيجة مرفوضة في الحالتين لأنها تطمس الهوية الثقافية للمجتمعات وتشجع السيطرة والسيادة للثقافات الأقوى.

لكن إذا كان الانفتاح على العالم قد أصبح حقيقة واقعة، فلا بأس ولكن مع المحافظة على الهوية الثقافية والحدود الجغرافية للمجتمعات، ومع هذا الانفتاح من الصعب أن تعزل الجامعة نفسها عن الفكر العالمي وتجارب الدول المتقدمة بدعوى المحافظة على الهوية الثقافية، وهناك رؤية لما يمكن أن تقوم به الجامعات تجاه هذه الأمور:

- تطبيق فكرة توأمة الجامعات، وتعنى إنشاء قنوات علمية بين جامعاتنا والجامعات الأجنبية لتعزيز الحركة الأكاديمية وتبادل الخبرات العلمية في التخصصات المختلفة، وفي إجراء البحوث المشتركة والتقنيات الحديثة في المجالات البحثية، والزيارات المتبادلة لأعضاء هيئات التدريس وطلاب الدراسات العليا.

- زيادة أعداد البعثات للخارج للدراسة في الجامعات الأجنبية التي تعتبر الأولى في تخصصات بعينها
- الرعاية الثقافية للطلاب لتقوية الولاء والانتماء لمجتمعهم، وترسيخ الهوية الثقافية لهم عن طريق التركيز على منجزاتنا التاريخية، وعراقة ثقافتنا من خلال الندوات والأنشطة الطلابية المختلفة
- تنمية التفكير الناقد لدى الطلاب حتى يكونوا قادرين على تنقية ما يصل إليهم من نتاجات الثقافات الأخرى، ونبذ الأفكار والمفاهيم، والاتجاهات الفكرية، والعادات غير المقبولة في ثقافتنا.
- تضمين البرامج الجامعية لمقرر التربية الكوكبية بما يتضمنه من موضوعات مثل السلام العالمي العادل، والاعتماد المتبادل غير المشروط، وحضارات الشعوب، وثقافتهم على أن يدرس الطلاب هذا المقرر وما يتضمنه من موضوعات دراسة ناقدة وفقا لهويتهم الثقافية وقيم مجتمعهم.

خاتمة

خلاصة القول أن هناك تغيرات عالمية تحدث وتؤدي إلى مشكلات وتحديات تؤثر على الإنسان وجودة حياته. في ظل هذه الظروف ينبغي أن تقوم الجامعة بدورها نحو هذه التغيرات وتحل المشكلات الناجمة عنها، وتواجه التحديات بفكر علمي رصين. ولا يدعى الكاتب أنه قد حدد كافة التغيرات العالمية والمشكلات الناجمة عنها ورؤيته لمواجهتها، ولكن عرض ما يعتقد أنه مهم من وجهة نظره، ويرحب الكاتب بالرؤى الأخرى سواء التي تتفق مع رؤيته أو تتعارض معها كما يرحب بالحوار مع أصحاب الرؤى المخالفة.

المراجع

- جبران، وحيد. (٢٠٠٢). شط الصف كمرکز تعلم حقيقي، فلسطين: رام الله منشورات مركز العالم والتنسيق ٢٠٠٢.
- حسين أبو زيد رياش وآخرون. (٢٠٠٦). الدافعية والذكاء العاطفي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط ١٤٢٧، ٥١-٢٠٠٦ م.

References

- Ababneh, S. (2012). Motivation and attitudes of vocational education female students towards learning English. *International Journal of Vocational Education and Training*, 20,
- Cakir, I. (2011). How do learners perceive idioms in EFL classes? *Ekev Akademi Dergisi Yıl*, 15(47), 371-381,11p.